

فى الجاهلية والاسلام الى زوال دولة بنى أمية من المشرق

(بالاشارة الى شعرهم على وجه خاص)

وهى ترجمة

الرسالة التي قدمها المؤلف لجامعة فينا عام ١٩٢٣ لاجازة العالمية

تأليف

علي مظهر

حاصل على أجازة الآداب والفلسفة من الجامعة

ودكتور من كلية الفلسفة بجامعة

طبع بمطبعة مصر شركة مساهمة تليفون ٤٠ — ٦٦

عام ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م



العصبية عند العرب

في الجاهلية والاسلام حتى زوال دولة بني أمية من المشرق

(بالاشارة الى شعرهم على وجه خاص)

وهي ترجمة

الرسالة التي قدمها المؤلف لجامعة فينا عام ١٩٢٣ لاجازة العالمية

تأليف

علي مظهر

حاصل على أجازة الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية

ودكتور من كلية الفلسفة بفينا

طبع بمطبعة مصر شركة مساهمة تليفون ٤٠ — ٦٦

عام ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

قدمت هذه الرسالة فى الشهور الاولى من عام سنة ١٩٢٣ لجامعة فينا ، وتقدم صاحبها للامتحانات الشفوية بعد أن أطلع عليها الاساتذة ، الذين أنيط بهم مراجعتها . فنوقش فيها وفى غيرها من المواضيع المختلفة . وحصل الكاتب على اجازة العالمية ولقب (دكتور من كلية الفلسفة) بجامعة فينا وتم ذلك فى أوائل يوليه من السنة عينها .

ولما كان حقاً على المؤلف أن يطلع قومه على نتيجة ما بذله لتحصيل العلم ، رأينا أن نعرب هذا المبحث من أصله الالمانى الى لغتنا العربيـة مع بعض تصرف قليل لا يغير من جوهر الموضوع ، بل اقتضاه روح اللغة ، التى نقل اليها . وقد اقتضت الاحوال الى تحوير طفيف وتغيـير لا يكاد يؤثر فى الرسالة نفسها . سبب ذلك أن كل يوم جديد يمر على الـكائنات الحية يدعوها الى الاصلاح ، والتحسين ، والسير الى الامام ، بأى خطوة كانت صغيرة كانت أو كبيرة . فالوقوف بالشيء جمود . ونحن أحوج الناس الى النشاط والتقدم فى عالم فاز فيه من نظر الى طريقه ، الذى يريد أن يسلكه ، فاذا ما تثبت من أمره ، سار فيـه سـيراً مطمئناً واثقاً من النجاح والظفر ببغيته

وانا وان نقلنا هذه الرسالة عن أصلها الالمانى الى هذه اللغة ، فلسنا ندعى جزيل فائدتها ، أو جمال اسلوبها ، أو شيئاً من هذا القبيل . نحن أبعد الناس عن الظهور والادعاء . فهذا أمر لا نرغب فيه ، لا بالقليل ولا بالكثير . انما ننقلها الى أبناء لغتنا لتكون موضع نقد خال من كل شائبة وغاية ، سوى ما نرجو منه فائدة عامة . ونحن أول من يتقبل النصح من أهله والارشاد الى الاصلاح من ذويه ، ونجل من ينقد نقداً صحيحاً ، ونعد من يفعل منهم ذلك ، بأنا سنراجع نقده مراجعة جيدة . فان رأينا فيه اصلاحاً لما غاب عنا معرفته ، أو جهلناه ، أو لم نعن به العناية الواجبة ، أعرنا ذلك العناية التامة ، وأصلحنا مايجب اصلاحه ، ورجعنا الى الصواب ، ونحن نردد له آى الشكر ، وقد قلدنا منة نحفظها له أبد الدهر . ويمكن من أراد أن ينقد أن ينشر ذلك النقد أو أن يكتب الينا كتاباً خاصاً اذا شاء

لهذا السبب ننقل هذا المبحث ، ولننوه بفضل أساتذتنا كلهم وبفضل من تلقينا العلم عنهم ، فى الشرق كانوا أو فى الغرب . وانا لننتهز هذه الفرصة لنشكر من علمنا ، أو ساعدنا ، أو سهل لنا سبل العلم ، والارشاد الى مناهله : نشكر من علمونا فى كل مدرسة زرناها وكل معهد قصدناه ، لانستثنى منهم واحداً مرددين فى ذلك القول المأثور : (من علمنى حرفاً صرت له عبداً)

وانا نذكر أيام دراستنا بالجامعة المصرية ، وبجامعتى برلين وفينا بكل خير ، ونؤكد لكل انسان أن الحياة العلمية هى أفضل حياة ،

والوجود فى بيئة علمية مما يدخل على النفس سرورها وغبطتها ، وأن تذوق العلم وتحصيله لذيذ . فهنيئاً للشاربين .

نذكر هذا لتقرير أمر واقع ، ولنرشد قرمنا ـ بقدر ما وصل اليه عقلنا ـ الى رأى نراه ونحضهم على الاشتغال بالعلم وعلى تحصيله ، فانا لن نصل الى الدرجة المنشودة ، والمكان اللائق بمصر ، الا اذا هذبنا أنفسنا وعلمنا أفراد الشعب تعليما صحيحاً . كل على قدر استطاعته وما يرغب فى التخصيص له ، وفى اتقانه

لهذا يجب تسهيل وسائل التعليم لكل فرد . ويكون ذلك باجبار كل طفل على الحضور الى المدارس الاولية الابتدائية ، على نظام البلاد الأخرى الراقية واصلاح التعليم الثانوى بمصر عما هو عليه الآن ، لأن التعليم بالمدارس الثانوية ناقص مبتور ، لا يكفى حاجة ولا يشفى غليلا . أما انشاء جامعة أو جامعات فقدأصبح من الضرورة بمكان كاحتياج الانسان الى الغذاء والشراب

واذا ذكرنا لفظ (الجامعة) هنا ، فانما نقصد بهاجامعة ، يدرس بها مختلف العلوم والفنون ، مفتوحة أبوابها لكل قاصد وطالب فخليق بذلك البلد الطيب الذى كان فى مقدمة الامم المتحضرة ، أن ينتشل من وهدة الجهل ، وأن يعود الى سابق عزه ومجده وأن يحل بالمكان اللائق به

وستكون الجامعة المنشودة فى حاجة الى الاساتذة الاكفاء ، الذين تعوزهم مصر الآن . فلا أرى ما يمنع من دعوة الاساتذة

الا كفاء من خارج مصر وارسال بعثات عديدة الى كل المعاهد العلمية في بلاد العالم المتحضر، تكون أفراد هذه البعثات ممن اتموا دراستهم في معاهد مصر، أو في البلاد الاخرى . ويختص كل منهم باتقان علم أو فن خاص، ولا يتسرع كل في العودة الى مصر، قبل الحصول على الاجازه النهائية، وتمضية زمن طويل في التمرين والدراسة الخاصة خارج مصر فاذا ما عاد أحدهم الى مصر كان للاستاذ معيداً عاماً أو عامين، يمرن أثناء تلك المدة على القاء المحاضرات، وارشاد الطلبة تحت مباشرة الاستاذ الخصيص القديم. وبعد هذا يجوز له التدريس بدل ذلك الاستاذ، اذا ما لوحظت عليه الكفاءة للقيام بهذا العمل الكبير

هذا رأى نعرضه، ونرجو أن نحققه يوماً ما، فاذا ما جاء ذلك اليوم، حق لمصر أن تكون في طليعة أمم الأرض قاطبة ينادى بشير المجد أمامها : (لتحي مصر)

أما اذا اقتصرنا على الصياح والهتاف الكاذب بالطرقات والميادين دون أن نعمل بجد للحصول على بغيتنا، فلن نصل اليها . ذلك مضيعة للوقت فحسب

لهذا أتقدم لقومي صغيرهم وكبيرهم، للعمل على خير مصر عملا مجدياً، يوصلنا لغايتنا التي نرجو الوصول اليها . وعهد الله وميثاقه أن نقوم بأداء نصيبنا ما وجدنا الى ذلك سبيلا، وما بقي فينا نفس، ونرجو أن نوفق في ذلك

القاهرة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣ — علي مظهر

أسماء مراجع اعتمدنا عليها ويحسن مراجعتها لمن يريد

باللغة العربية

ابو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى القاموس الجغرافى طبع جتنجن سنة ١٨٧٦
أبو الفرج الاصفهانى . كتاب الاغانى (٢١ جزء) طبع بولاق بمصر
الفاردت : ديوان الشعراء العرب الستة طبع لندن سنة ١٨٤٩
: الاصمعيات طبع برلين سنة ١٩٠٢
أخبار عربية مجهول اسم مؤلفها الجزء الثانى طبع فى جريفسفالد سنة ١٨٨٣
القلقشندى : صبح الاعشى طبع بولاق بمصر
ابن الاثير : الكامل (١٢ جزء) طبع مصر سنة ١٣٠٢ هجرية
ابن عبد ربه : العقد الفريد طبع بولاق
ابن هشام : السيرة النبوية
ابن خلدون : التاريخ طبع بولاق بمصر
: المقدمة طبع باريس بعناية كترمير
ابن قتيبة : الشعر والشعراء طبع ليدن سنة ١٩٠٣
الخضرى بك . تاريخ الامم الاسلامية (٤ أجزاء) طبع الجامعة المصرية سنة ١٩١١

زيدان (جورجى) . انساب العرب القدماء طبع مصر سنة ١٩٠٦
تاريخ آداب اللغة العربية (٤ أجزاء) مصر سنة ١٩١١
العرب قبل الاسلام (جزء) مصر سنة ٩٠٨
تاريخ التمدن الاسلامى (٥ أجزاء) مصر سنة ٩١١ ـ ١٩١٤
عبيد وعامر . ديوانهما طبع على نفقة تذكار جب بليدن سنة ١٩١٥
عمر نور الدين الـكازانى : النفحات الملوكية فى أحوال الامة العربية الجاهلية طبع بمصر سنة ١٨٩٣ ـ ١٨٩٤
القرآن
ياقوت الحموى . معجم البلدان (٦ أجزاء) ليبزج سنة ١٨٧٠
اليسوعيون . مجانى الادب (٦ أجزاء) بيروت

مراجع بلغات أجنبية

Blunt (Anna): a Pilgrimage to Nejd London 1881.

Burckhardt : Travels in Arabia London 1829.

Notes on Beduins and Wahabian London 1880.

Clay : Light on the Testament from Babel London 1907.

Donghty : Travels in Arabia deserta

Goerk. (Jacob): Das Beduinen Leben nach dem Quellen

Janssen Antonin (Le. P.) Coutumes des Arabes au Pays de Moab Paris 1908.

King: Egypt and Western Asia in the Light of recent discoveries London 1907.

Musil, Alois : Arabia Petrea

Smith (Roberter) Kinship and marriage in early Arabia, London 1903.

Sprenger : A. Die alte Geographie Arabiens

Wüstenfeld : Arabische Stämue und Familien

Zuemer : Arabia the Cradle of Islam

فهرس

صحيفة

ملحوظة — ضع حرف الباء بدل الجيم فى صفحة٤٥ والجيم بدل الدال فى صفحة ٤٦ والدال بدل الهاء فى صفة ٥١

الفصل الأول

ا مقدمة — العرب

قبل أن نبدأ بالكلام فى هذا المبحث ، نريد أن نبين معنى كلمتين فى رأس هذه الرسالة . ونعنى بهاتين الكلمتين :

١ . العرب أولا

٢ والعصبية ثانياً

قد اعتاد الناس أن يطلقوا لفظ (العرب) على أولئك الاقوام ، الذين يحسنون التكلم باللغة العربية. وبعد ظهور الاسلام أمكن من يدعون (بعرب) أن يغزوا ملكا كبيراً ضخماً . وقد رأى التاريخ أولئك العرب سادة على البلاد من الهند والصين فى الشرق ، حتى اسبانيا وفرنسة فى الغرب ، وبلاد سيبيريا فى الشمال ، والنوبة والسودان فى الجنوب . قد أقاموا خيامهم البدوية فى الشام والعراق

ومصر وافريقية وبلاد فارس حتى بلاد بخاري والتركستان كما أجهزوا على ملك القوط الغربيين في ايبيريا . وقد دخل أفواج من الأمم المدوخة في دين الله بتوالي الايام ، وتعاقب السنين . وقد اضطر أولئك الذين اعتنقوا الاسلام ، واتخذوه ديناً ، أن يتعلموا العربية ، وأن يجيدوها لفهم الكتاب المقدس لدينهم الجديد . وبمرور الاعوام رأينا كثيراً من العلماء واللغويين والشعراء ، من أصل غريب عن أصحاب اللغة السائدة يكتبون بها . وكثيراً ما نسوا لغاتهم الاصلية ، لاتخاذهم العربية دون غيرها لغة لهم . واذا نظرنا الى أولئك الاقوام نظرة علمية ، لما أمكن عدهم عربا ، رغم تفاهمهم بلغة الاخيرين ، واستعمالها في معاملاتهم كلها تقريباً . ومثل ذلك يمكن للمرء مشاهدته في أوروبا الوسطى في وقتنا الحاضر ، حيث يوجد كثيرون من دماء أجنبية عن الالمان ، يحسنون التكلم بالالمانية . ومع أن الكثير منهم ليس له من لغة أخرى غير اللغة الالمانية ، الا انه لا يمكن عد هؤلاء من الالمان . كذلكم بربر

افريقية وأهل مصر وسوريا والعراق والعجم ، الذين اتخذوا العربية لغة لهم منذ قرون عديدة ، لا يجوز عدهم عربا . ولا يزال كثير من الناس خارج جزيرة العرب يدعون انهم من العرب . ومعلوم ان كثيراً من قبائل العرب تركت وطنها ، واختارت البلاد ، التي غزيت حديثا مسكناً لهم ولكن هل من الحق ان كثيرين في مصر والشام ـ على وجه التمثيل ـ عرب . تلك مسألة ليس من الصعب الاجابة عليها . ان كثيرين من قبائل العرب وعشائرهم جاءوا الى تلك البلاد كفاتحين وغزاة . وقد رغب سكانها الأصليون أن يكون لهم مثل الابهة والشرف ، الذى ترمق به المنتصر على تلك البلاد وساداتها . فاسلموا كالعرب . وتعلموا لغتهم . وبين جداً فى خطبة الوداع ، التى ألقاها النبي محمد فى مكة ، ان المسلمين أخوة متساوون [1] ولما كان العرب دعاة الدين الحنيف فى المملكة الاسلامية ، زعم بعض من لم يكن من جزيرة العرب ،

---

[1] العقد الفريد ٨٥ ج . ٢

انهم عرب . ولكننا سنرى فيما بعد ان العرب عاملوا هؤلاء الناس باحتقار . مثال ذلك : انهم أطلقوا على غير العرب لقب الموالى (العبيد)

لكل شعب مخصصاته الثابتة وعاداته وحاجياته . ومع أن الابحاث في أوصاف الشعب العربي لم تزل غير كافية ، فانه يمكن من يعيش بينهم معرفة العربي من خلقته وملامحه. ولسنا نريد الآن أن نصف العربي وصفاً جنسياً ولكننا نريد ان نثبت هنا ، ان كثيرين فى مصر اليوم يزعمون انهم من أصل عربي،حتي انهم كثيراً ما يريدون ، أن يكونوا من أعقاب النبي وأسرته ، مع ان هيئتهم تدل على انهم من شعوب أخرى .

ب العصبية

مع انا نعتقد ان التعاريف لا تنقل صورة واضحة تمام الوضوح للفهم ، فكثيراً ما يجد الانسان نفسه فى حاجة لتعريف بعض الالفاظ . ماهو الشعر؟ وما هو الفن ؟ وما معني العصبية ؟

وقف مصور وصديق له فى متحف للرسم ، حيث يوجد كثير من الصور فبدأ الفنان يقول لصاحبه : ان هذه الصورة مثال صادق للفن . اما تلك فلا شيء من الفن فيها . فسأله الآخر : وما الفن ؟

أجابه الفنان ؟ بعد ان طال التفكير انه من الصعب بمكان ، أن يتضح ذلك ، لمن لم يكن فنانا . فمن لم يكن من طبيعة شاعراً أو فناناً ، فكل الجهود للايضاح قليلة الجدوى .

ذلكم هو الحال فى أمثال الالفاظ : الفن والشعر .

لان حل الناس ليسو بشعراء أو فنانين. ولـكن الحال ليس كذلك في لفظ «العصبية»، لان كل الخلق بهم شيء من العصبية قل ذلك القدر أو كثر. وسيان عاموا ذلك، أو جهلوه فهذا شيء لا يؤبه له، ولا يؤثر في الامر الواقع ألا ترى أن Der burgerliche Kavalier دعى الوجاهة (في تآليف موليير)، كان يمكنه أن يتكلم النثر طول حياته دون أن يدري ذلك. كذلكم الناس ذوو عصبية. وسترى ذلك اذا ما فرغت من قراءة هذه الرسالة.

وقد اشتق لفظ العصبية الافرنجي Partikularismus لغويا من اللاطينية partie, pars [1] ومن هذه الكلمة (العصبية) يفهم الانسان «الميل ومحاباة فريق أو حزب، بدون مراعاة لمصلحة المجموع. ولاسباب اجتماعية يحب الانسان أسرته، ويختص عشيرته بعونه ومساعدته. وكثيراً ما يكون هذا الحب أو تلك المساعدة ضد صالح

---

(1) Webster's Imperial Dictionary Page 1190.

الآخرين [1] وفى مثل العرب اختص البدوي قبيلته بحبه ومساعدته . فعاشت كل قبيله منفصلة عن غيرها . ولهذا السبب قضى سكان جزيرة العرب حياتهم يحارب بعضهم بعضاً ، منشقين على أنفسهم . فتمكنت الأمم الأخرى أن يخضعوا بلاد العرب لسلطانهم .

وعلى نقيض هذا يعمل الوطنيون لخير الشعب وصالحه كله لأسباب سياسية .

وقبل أن نختم هذا الفصل يجب ان نبين الفرق بين العصبية والتعصب .فان هذه الكلمة الاخيرة Fanatismus

---

(١) جاء فى لسان العرب (ج ٢ ص ــ ٩٦ طبعة بولاق سنة ١٣٠٠ والعصبية ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته . والتألب معهم على من يناديهم . ظالمين كانوا أو مظلومين . وقد تعصبوا عليهم اذا تجمعوا فاذا تجمعوا على فريق آخر قيل تعصبوا اهـ .

والعصبة والعصابة (العمامة ص ٩٢٠ من لسان العرب) والعصب من أصل واحد فى اللغة العربية . ويفهم منها وجود رابطة مابين اجزاء جسم أو عدة أفراد .

اشتقت من اللاطينية Fanaticus · وهى تشير الى الحماس للمعبد Fanum (1) لهذا يجوز أن تستعمل هذه الكلمة لأغراض دينيه فحسب .[٢]

(1) Websters. 619

(٢) جاء فى لسان العرب ج ٢ ص ٩٦ .

العصبية والتعصب المحاباة والمدافعة ؛ اه ويظهر ان مرور السنين قد اكسب لفظ التعصب معنى دينيا فحسب . فصارت لاتطلق على غير ذلك

الفصل الثاني

١. العرب

مم اشتق لفظ (العرب) ؟

في التاريخ القديم ترادف لفظ العرب ولفظي البدو والبادية [١] وقد عاش الساميون في البادية بين العراق والشام على نظام القبائل الرحالة [٢] فاطلق عراقيو ذلك الزمان عليهم لقب «عمورو» . أعني من يعيش في الغرب [٣] لان مقامهم كان غربي الفرات . ومن الممكن ان عني بالعمورو ، من أقاموا بين الفرات والبحر الابيض ، بدوا كانوا أو حضرا [٤] وقد سمي أولئك « عرابي » أو عربا ،

---

١ جورجي زيدان العرب قبل الاسلام ص ٣١

٢ » » » » » ٣٤

٣ » » » » » ٣٥

٤ في كتاب العرب قبل الاسلام لزيدان (Clay (631, 136, 146.

وهذا معناه في اللغة السامية الاولى سكان الغرب، وسميت بلادهم مات عرابى (أرض الغربيين) او بلاد العرب . ولما كانت بلادهم صحراء، يسكنها البدو ، أصبح لفظ العرب معناه البادية في اللغات السامية . وقد سماهم قدماء المصريين شاسو . أو بدوا [١] وبعد ذلك سكنت عدة قبائل عربية فى مدن اليمن والحجاز وحران . ومع هذا فقد حفظوا اسمهم الاول. ويقول ياقوت ان العرب سموا جزيرتهم عرابه [٢]

وقبل أن نبدأ بذكر سكان جزيرة العرب تقسم تاريخهم الى ثلاثة أزمنة :

١ ـ العرب البائدة

٢ ـ القحطانيون فى اليمن

٣ ـ الاسماعيليون في الحجاز

---

١ زيدان ص ٣٥

٢ ياقوت ٦٣٣ ص ٣

١

العرب البائدة

تحت هـذا العنوان يفهم عادة من سكن جزيرة العرب قبل القحطانيين فى اليمن ، والاسماعيليين فى الحجاز. ومن العرب البائدة يمكننا أن نذكر عماليق ، وثمود، وعاد وجديس ، وجرهم الاولى، وطسم . ويذكر رواة العرب ، ان تلك القبائل سامية . وزعموا انه تيسر للبدو ، الذين نزلوا بين العراق والشام ، ان كانوا ملوكا على العراق . وقد كان ذلك قبل أربعة آلاف سنه من ميلاد المسيح [١] . وان دولة حمورابي بالعراق كانت عربية . [٢] وقد فتح العمالقة أو الشاسو أرض مصر ، وصاروا سادة فيها . وقد أمكن بعد ذلك مطاردة أولئك من العراق وبلاد الجزيرة ومصر . فعادوا ادراجهم الى الارض التى ندعوها اليوم جزيرة العرب .

---

(١) العرب قبل الاسلام بزيدان صفحة ٤١ — King 228

(٢) » » » » ٤٩

ونزلوا فى بقاع عديدة هنالك وتاريخ بلاد العرب عن ذلك الحين غامض محاط بالغياهب والشكوك يكثر فيه ألفاظ ربما ، ومن الممكن ، ويبين. ولسنا فى حاجة الى تفصيل تاريخهم. وقد دعاهم رواة العرب بالعرب الخلص لانهم تكلموا بالعربية بادى بدء [1] ورغم هذا نجد ابن خلدون قد ذكر ان جرهم الاولى كانت تتكلم العبرية [2] وعند مؤرخى العرب والمسلمين ان أولئك العرب العرباء أول سكان جزيرة العرب

---

٣ اليمن قبل الاسلام

دون كل الأجيال والامم ، التى سكنت اليمن ، سوف نعنى بالقحطانيين ، لما لتاريخهم هم وحدهم من الارتباط برسالتنا . انى جاء القحطانيون ؟ سوف لا نكلف أنفسنا مؤونة البحث وراء ذلك لاستطلاعه . ولندعه للابحاث

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان صحيفة ٥٣ — ٦٠

(٢) صبح الاعشى ص . ٣٠٧ ج . ١ .

الحفرية وراء الآثار . ومما يرتاب في تحقيقه مكان مجيئهم ، أهو من بلاد الحبشة ، أو من أى أرض أخرى . واختصار القول انهم كونوا طبقة من طبقات السكان فى جزيرة العرب ، وان يعرب ابن قحطان أول من أمكنه التكلم باللغة العربية[١] وكان للقحطانيين حضارة ومدنية : قصور وأبنية ضخمة قد أقاموها ، وكان لهم دور كبير فى التجارة بين بقاع وشعوب ذلك الزمان . وكان لهم ملك كبير . ونريد أن نقول بايجاز ، بانهم كانوا سادة جزيرة العرب لحين من الدهر ، بينا كان اسماعيليو الحجاز رعية لهم . وكانوا يعيشون فى شمال جزيرة العرب على شاكلة القبائل البدوية . وقد تكاثر أهل اليمن عدا على وجه التدريج . وكثيراً ما كان يحدث ، ان ضاقت بهم بلادهم ، فبحثوا على منازل أخري جوار الشام والعراق والحجاز ، وفى بقاع أخرى من بلاد العرب . لهذا السبب أو لانبثاق المياه من سد المآرب ، حين كسر ، رحلوا عن بلادهم فرأينا الغساسنة بالشام ، وبنى لخم على حدود العراق ،

---

(١) النويرى وابن الاثير (فى مجانى الادب ج . ٣ ص . ٢٩٤ — ٢٩٥ .

وكنده في نجد.

وقد سعى في الوقت نفسه كل من أولئك القحطانيين أن يكثر من أنصاره ، وان يقوى من ساعده . ولما لم يكن هنالك من جنود تفضل بدو بني اسماعيل في الكفاح ، استخدمهم بنو قحطان في حروبهم . وقد رأينا في تاريخ الاسماعيليين ، انه تيسر لهم طرح نير أهل اليمن . ويحسن بنا ، أن لا ننسى ذكر قبيلة ذهبت الى مكة ، وامتلكت البلاد من بقايا عماليق هنالك [1] نعني بذلك جرهم الثانية ، التي كانت لها السيادة وسداته الكعبة . وقد حدث ذلك حين وافى ابراهيم مكة ، على ما نقل الينا .

حاربت قبائل الاسماعيليين بعضها البعض . لهذا كانوا ضعفاء . فبحثوا وراء حماية أمم أخرى أقوى ساعدا وأشد بأساً ، أعني للقحطانيين . فطورا كانوا تحت سيادة الغساسنة أو اللخميين . وقد عاشوا جل زمانهم في كفاح ضد بعضهم البعض ، أو ضد الفرس والرومان وقد سألهم

---

(١) تاريخ مكة للازرقي

اللخميون فى العراق والغساسنة بالشام المعونة على أعدائهم فى وقائعهم . وفى الوقت عينه راموا هم أنفسهم حماية الامم القوية فى ذلك الحين ، كالقحطانيين الذين كانوا فى اليمن أوفى الشمال .

٣ بنو اسماعيل

روي العرب فقالوا : جاء ابراهيم وزوجه وطفلهما اسماعيل من الشمال الى مكة [١] . وقد ربى ذلك الطفل وسط الجرهميين سكان مكة فى ذلك الوقت . ومنهم تعلم العربية . وكانت زوجه من تلك القبيلة . وقد عرف أعقابه فى التاريخ باسم الاسماعيليين . وجاءت بعد ذلك قبيلة خزاعة اليمنية ، تيسر لها أن تنتصر على جرهم . ولكنها أجازت لبنى اسماعيل أن يظلوا مقيمين معهم . وصار سادن الكعبة

(١) سورة ابراهيم فى القرآن

وسيد مكة من قبيلة خزاعة . وقد أمكن قصي ، أحد شيوخ الاسماعيليين ، أن ينقل سدانة الكعبة من خزاعة اليه والى أسرته ، وأن لاتتحول الى غيرهم .

ومرت أحقاب كثرت فيها ذرية بني اسماعيل وأصبحت مساكنهم بمكة تضيق بهم . لهذا بحثوا على منازل جديدة لهم ولابلهم وماشيتهم . فرأينا عشائر عديدة منهم وقبائل فى نجد وتهامة والبحرين بدوية الجولان والترحال .

ب

بلاد العرب تحت السيادة الاجنبية

منذ العصور الغابرة ، والجيوش الاجنبية تطأ أرض جزيرة العرب ، وتفتحها . فقد أطلعنا التاريخ على سيادة الاجانب لها . ودفع سكان جزيرة العرب الخراج لأمم عديدة جاورتهم . وكثيراً ما أرغموا أن يكونوا في صفوف

جيوش ساداتهم فى مواقف قتالهم . وممن اشتهر من هؤلاء الغزاة : —

١ — المصريون

٢ — الأشوريون

٣ — الفرس

٤ — البيزنطيون

٥ — الحبش

١ . المصريون

كانوا أول من غزا بلاد العرب وفى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد تيسر لاحمس أن يطارد الشاسو (الهيكسوس) من مصر حتى شبه جزيرة سينا . وأمكن لتحتمس الثالث أن يخضع أعالى جزيرة العرب والشام وفلسطين وفينيقية والعراق لسلطانه وفى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد كان لرمسيس الثالث علاقات بحرية مع اليمن وسواحل جزيرة العرب .

وبفضل أسطوله امكن ، أن ينفذ كل رغائبه ، ويفوز بكل مطالبه

٢ . الاشوريون

لما احتوت عليه بلاد العرب من المعادن الثمينة كالذهب عمل المصريون والاشوريون من بعدهم على ضم تلك البلاد الى ملكهم . ففي القرن التاسع قبل المسيح انتصر تجلات بيلاصر الثاني على قبيلة فى حدود مصر . وأرغم سرجون الثانى (٧١٥ ق . م) أماكن وقبائل عديدة ، أن تدفع له الخراج . ومن بعده حارب كثيرون من ملوك أشور بلاد العرب ، وأخضعوا جهات عديدة لسلطانهم

٣ . الفرس

جاء دور الفرس ، لكي يمثلوا دورهم الكبير فى تاريخ جزيرة العرب . وقد دفع العرب ، الذين كانوا على حدود

العراق ، الخراج للفرس . وساعدوا قمبيز فى حملته على مصر باباهم . ورأى العرب الفرس فى بقاع كثيرة من وطنهم : فى البحرين واليمامة والقطيف والاحساء وفى ديار بكر وربيعة ، وفى اليمن نفسها ، سادة وأرباب الحول والطول . وبقيت العلاقات بين جزيرة العرب والفرس حتى ظهور الاسلام

٤ . البيزنطيون

كانت معظم حملات الرومان على بلاد العرب لافتتاحها منحوسة الطالع . ورغم ذلك فقد رأينا الغساسنه في الشام رعايا للرومان فيما بعد ، وكانوا أمراء على القبائل العربية فى الشمال جوار الشام . فاعانوهم فى حروبهم . ونذكر فى هذا المقام زيارة امرىء القيس لبيزنيس ، وقد رجا القيصر عونه على القبائل ، التى عادته

٥ . الحبش فى بلاد العرب

حوالى عام ٤٨٠ بعد المسيح حكم ذو نواس بلاد اليمن . وقد تهود ، وأراد أن يدخل كل القبائل تحت سلطانه فى دينه الجديد . وقد قيل ، انه رمى بكثير من مسيحيي نجران فى النيران . ولذا كانت خسارتهم عظيمة جداً . ولكن تيسر لأحدهم ، ان يلجأ الى قيصر البيزنطيين ، يستغيثه على ذى نواس [١]

فبعث القيصر لملك الحبشة : ان يعين المسيحيين فى جزيرة العرب . فارسل هذا الملك جيشا الى ذى نواس ، وأمر عليه ارياط . فانتصر وكان حكم الحبش شديد الوطأة جداً ، حتى ضج أهل اليمن تحت نيرهم القاسى . فرجا سيف بن ذي يزن ملك الفرس العون على الجيش . وبعد حكم كانت مدته ٧٢ سنة طرد الجيش (٦٠١ ب . م) . وعاد وهرز قائد الفرس الى بلاده . وبقي سيف على رأس الحكومة هنالك ،

---

(١) معجم البلدان لياقوت (فى مجانى الادب ج ٣ ص ٢٠٩ — ٢٠١)

حتى قتله أحد الاحباش . فكان ملوك فارس يرسلون الولاة على اليمن ، حتى خضعت البلاد لحكم المسلمين [١]

ج

ملاحظات على تاريخ العرب قبل الاسلام

١ — ما نعرفه عن سكان جزيرة العرب قليل جداً . وقد كانت لغاتهم ولهجاتهم غير لهجة امرىء القيس تماماً ، وبعيدة جداً عن عربية اليوم .

٢ — يشمل لفظ العرب شعوباً عديدة ، جاءت الى جزيرة العرب من مختلف الاقطار ، ونزلت ببلاد العرب . وبتوالى الاحقاب دعوا أنفسهم عرباً ، وتناسوا جنسياتهم الاولى .

يحكى أن معاوية سأل عجوزا سوداء تدعى الدارمية فقال : كيف حالك يا ابنة حام ؟ فأجابت : بأنها ليست لحام تدعى ، ولكنها لبنى كنانة — العرب — تنسب [٢]

---

(١) ابن خلدون (مجانى الادب جـ ٣ ص ٣٠٢ — ٣٠٣)

(٢) صبح الاعشى جـ ١ ص ٢٥٩

٣ — بين أن العرب شعب غير ذي وحدة ، اذا لاحظنا العلاقات العدائية ، التي كانت بين اليمنيين والاسماعيليين . فكان يرى كل نفسه وقومه أعلى كعباً وأنبل منبتاً من الآخرين . وانا لنجد القصائد المطولة ، الغرض منها تعظيم القحطانيين ، وتقديمهم على الاسماعيليين اذاما أريد المقارنة(١)

في حين يرى الاسماعيليون ، أنهم أسمى من الخلق كلهم ، سواء في جزيرة العرب أو خارجها ، لان النبي كان منهم .

٤ — يوجد شعبان مختلفان عن بعضهما البعض في جزيرة العرب — على الاقل — أعني الاسمعيليين والقحطانيين. ولما كانت الابحاث في وصف الشعوب والحفر على الآثار هناك لا تزال غير كافية ، فلا يمكننا ، الجزم بان وجد شعبان أو أكثر في جزيرة العرب

وبعض العلماء يقول : بشعوب كثيرة وعلى ما أرى

---

(1) AHLWARDT - The Diwans of the six ancient Arabic poets, S. xxv.

أن مزاعمهم ليست على أساس ثابت ، بل أن مرجعها الخيال والقصيد (١)

وكبير أثر تنقلات الشعوب ، ومبادلة المتاجر ، بل والاحتلال الاجنبي أيضاً على الامم . ومما لا جدال فيه أن دماء جديدة ، قد جاءت الى بلاد العرب . فان الشعوب المختلفة التي كانت على اتصال بجزيرة العرب ، واتخذت تلك البلاد موطناً جديداً لها ، قد امتزجت مع بعضها البعض . وقد أمكن للقحطانيين فى الجنوب ، والاسماعيليين فى الشمال ، أن يظلوا خلصا من هذا الامتزاج .

٥ — ولما لعبه هذان الشعبان من الدور الكبير فى تاريخ من يعرفون باسم العرب ، نظرنا الى هاتين القبيلتين الكبيرتين بعين العناية

---

(١) ان المستشرق الشهير «كيتانى» يزعم فى كتابه Storia orientale: ان بجزيرة العرب ثلاثة ألوان للخلقة البشرية . ولما كنا لا نحسن الايطالية ، فانه لا يمكننا أن ننقد آراءه فى ذلك

٦ ـ والفروق بين القحطانية والاسماعيلية هي : ـ

أ ـ في نظام معاشهم . فقد كان الاسماعيليون من آل المدر ، والقحطانيون من آل الحضر

ب ـ في اللغة ـ مع أن لغتي الشعبين من أصل واحد فانا نجد فروقاً كبيرة بينهما[1]

جـ ـ في الدين ـ كانت آلهة اليمن تشبه آلهة بابل . فقد عبد أهل اليمن عشتار وابل وبعل . على عكس الاسمعيليين الذين عبدوا اللات والعزى ومناة وهبل (ابولون عند الاغريق على ما يظهر) .

د ـ في الاسماء ـ كانت اسماء الاسماعيليين مشابهة للأسماء البابلية . وقد اطلقوا أسماء الحيوان على أنفسهم : مثل أسد وكلب ونمر وما شاكل ذلك . وبعض أسمائهم منسوب الى آلهتهم ! مثل عبد اللات . وبعضها مأخوذ عن بعض الامم الاخرى : كامرىء القيس (مركس على

(١) زيدان : العرب قبل الاسلام ١٦٥ — ١٦٦

ما يظهر) وصخر (بيتر) . واشتق بعض الاسماء من الصفات . كأمير وسيد ومحمد وعلي[1]

د

العرب وغير العرب

دعنا نطلق أثناء هذا الفصل لفظ (العرب) على أعقاب اسماعيل وأبناء قحطان فحسب . في البلاد التي غزيت من المملكة الاسلامية احتك العرب بالأمم الاخرى . وقد رفع الاولون منزلتهم فوق الناس الآخرين ، لأنهم ذوو السيادة . تلك هي طبيعة المنتصر . وكذلكم كان العرب غزاة ملك كبير . وقد كان من تلك الشعوب كثيرون لهم مجد تالد وأثر معروف . يمكننا أن نذكر منها الفرس والمصريين . وبينا كان العرب على خلاف بينهم ، كانوا يسيئون لمن لم يكن عربياً . لهذا لم يتمكنوا من اتمام غزو فرنسا . وقد انتهت حملتهم على شارل مارتل بهزيمة وفقدوا جل جيشهم بأمرة

(١) زيدان : العرب قبل الاسلام ١٦٥ — ١٦٦

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص٣٢٩

القائد الشهير عبد الرحمن . وقد دعا العرب غيرهم كالترك والبربر الموالى (العبيد) ، والعجم (الذى لا يفصح)[٢] ، والخزر (ذوي العيون الضيقة) ، وسموهم بأسماء معيبة أخرى. وكان العربي يري انه من العار الكبير ، اذا رغب مولى البناء بعربية . فقد حكي ان سلمان الفارسي خطب ابنة عمر بن الخطاب من أبيها . فغضب أخوها . وأمكنه بمساعدة عمرو ابن العاص ، أن يحول بينه وبين الزواج بها[١]

لهذا كان غير العرب لا يرضون بحكومة عربية وطنية . وقد رأينا أولئك الموالى والعبيد أنصاراً لمن قام ضد بنى أمية ، وثار عليهم . من ذلك المختار ، الذى حارب الامويين في العراق عام ٦٦ بعد الهجرة ، فقد كان عدد الموالى في جيشه أكثر من غيرهم كثرة ظاهرة

(ولنحدثك بحديث طويل عن الفرس ، لانهم أجهزوا على دولة الأمويين . قد كان جل جيش الفرس ، الذي كان وهرز أميراً عليه ، من المجرمين وذوى سابقة فى الاجرام ،

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٢

ومن قطاع الطرق الذين كانت سجون فارس قد غصت بهم .
وقد أمكن هذا الجيش ، أن يطرد الحبش من بلاد اليمن ،
وأن يحتل تلك البلاد . وقد دعا العرب ذرية أولئك الفرس
بالابناء . ومن المحتمل أن العرب قد نظروا الى أولئك الفرس
نظر الاحتقار والازدراء ، لانهم ابناء اللصوص والمجرمين
وفى مدة عمر بن الخطاب غزت الجيوش العربية بلاد فارس .
وكان ذلك آخر العهد بالمدنية الفارسية القديمة . وقد استرق
كثير من الفرس [1] فلا غرابة اذا علمنا ، أن مؤامرة
فارسية قد اغتالت حياة عمر) ولما كانت حكومة الامويين
تتعصب للعرب ، سعى الفرس ، وجدوا لمساعدة الاحزاب
الاخرى ، التي تبغى الامرة ، تتهافت على السيادة . فانتهزوا
فرصة وجود العصبية بين اليمنيين والمضريين ، للمناداة بآل
العباس خلفاء على المملكة الاسلامية . ولذا نجد جل أنصار
العباسيين من الفرس ، الذين أمكنهم أن يلعبوا دوراً مهماً
أثناء القرن الاول في حكومة بني العباس

---

(١) الخضرى بك تاريخ الامم الاسلامية ص ٢٥٨

هـ

مكة والمدينة

هما أكبر المدن بالحجاز. ونرى من الضروري أن نخص سكانهما بشيء من العناية والبحث. فقد كان لهما دور هام في تاريخ العرب.

كانت العمالقة أول من سكن مكة[١] وجاءت من بعدهم جرهم من قحطاني اليمن. وقد أمكن للاسماعيليين، أن تكون لهم السيادة على مكة. ومن هؤلاء الاخيرين (الاسماعيليين) يجمل بنا أن نذكر قريشا، وقد كانت لها سدانة الكعبة، ذلك البيت الحرام، قبل ظهور الاسلام وبعده. ومن هذه القبيلة (قريش) كانتا الاسرتين الكبيرتين بيت النبي والاسرة الاموية.

المدينة

يذكر زيدان أن سكان المدينة لم يكونوا من الاسماعيليين.

---

(١) زيدان: العرب قبل الاسلام ص ٢٤٤

ويزعم أنهم من أصل يمني. دع اليهود العديدين، الذين نزلوها منذ زمن بعيد جداً، وأثروا بها [١]

وجاء الى المدينة قبيلتان: هما الاوس والخزرج. فسكناها، وصارا أصحاب النهي والسيادة فيها. ويزعم العرب، أنهما من اليمن. ويرى زيدان أنهما غير ذلك، لما بين القحطانية والاسماعيلية من الفروق العديدة [٢]

ويحسن بنا، ان لا نغفل ملاحظة ما قدمته هاتان القبيلتان للنبي من المساعدة الكبيرة، وصار يعرف أفرادهما بالانصار، واشتهروا بهذه التسمية.

بهذا أردنا، أن نبين أن سكان مكة والمدينة، لم يكونوا من أصل واحد.

---

(١) زيدان: العرب قبل الاسلام ٢٤٩
(٢) » » » » ١٨١ — ١٨٣

الفصل الثالث

كيف يصبح المرء عصبياً(١)

يريد المرء أن يعيش قدر مستطاعه · أما الانانية فشيء غرز فى طبعه

دعنا نتخيل صورة انسان يعيش في الاحراش والغابات . انك تراه يعد سلاحا لنفسه ، ليتقي شر الحيوان . ثم تراه يبحث عن صديق ، أو تراه يتعرف للناس فى القرى القريبة منه . واذا ما تقابل اثنان أو أكثر من بلد واحد فى مدينة غير مدينتهم ، فسرعان ما يتصاحبون ، لانهم يرون . أنه من الممكن جداً أن يساعد الواحد الآخر اذا ما دهمهم داهم ، أو عرض لهم شر قائم . والمرء يعتقد ، أنه عرضة لاخطار أكثر فى البلد النازح . ذلك الشيء قد لاحظناه أثناء سياحاتنا العديدة .

كذلكم اذا ما عاشت أسرة بالبادية ، جد كل فرد منها أن ينزل على كثب من الآخرين ، لانه يخشى عدوه

---

(١) نقصد المعنى الاجتماعى لا المعنى الطبى هنا

من بنى الانسان أو الحيوان . لذلك يسكن الى جوار أسرته ، ليدعوها العونه ، اذا ما رأى الحاجة ماسة لها . ولهذا يحب أسرته واليها يميل ، ويحبو أفرادها بمساعدته فيصبح عصبياً للسبب الذي ذكرناه .

على نقيض ذلك في المدن الكبيرة ، حيث لا يخشى من الاخطار ، لانتشار رجال الشرطة والعسس ليل نهار ، في كل مكان ، لتلبية نداء من يدعو لحمايته ، فانك تجد كل فرد من أفراد الاسرة الواحدة يسكن بعيداً عن الآخرين . وقلما يزور بعضهم بعضاً . من هذا نرى أن العصبية في المدن الكبيرة واهنة مفككة العرى أضعف عنها فى البيداء .

ونعلم أن جل العرب قضوا حياتهم بالصحراء . لهذا نجد من الصعوبة أن نقول : انهم كانوا عصبيين . وما حياة القبائل البدوية علي حدود الارض المزرعة فى مصر اليوم ، الا صورة من معيشة أولئك العرب ، الذين كانوا قبل قرون عديدة . فمعيشة الامم البدوية تكاد تكون متشابهة متقاربة .

وما وصف أهل الرحلة لجزيرة العرب اليوم الا صورة

تتجلى فيها حال سكانها الاول . قال جيته في قصة (أشجان الشاب فرتز) : « ان الطبيعة تخلق الفنان الكبير وتكيفه » . ويمكننا القول : انها تخلق الشعب ، وتكيفه على طابعها . وما الشعب الا مجموع أسر عديدة . ومن الافراد تتكون الاسرة الواحدة . ومن وصف معيشة العرب يمكننا الجزم ، بأنهم كانوا عصبيين . وسنسعى لايضاح ذلك وبيانه : —

لقد جد جل البدو من العرب ، أن يعيشوا مع أسرهم ، ليطلبوا منها العون ، اذا دهمهم داهم . كما ان كل واحد منهم ، كان متأهباً لتلبيـة دعوتهم ، اذا ما نادوه أو لزمهم عونه . فانضمت أسر قليلة العدد بعضها الى بعض ، ليدفعوا غارات الاسر الكبيرة عنهم . ولهذا كان من دأب الاسر التي تجمعها أواصر القرابة والنسب ، ان يسكن بعضهم الى بعض . فكونوا من ذلك العشائر . وحدث مثل ذلك مع العشائر . فاذا بنا نرى قبيلة أمام قبيلة ، ثم شعباً أمام شعب في البلد الواحد . من هذا نرى أن العصبية تكون : —

١ . للأسرة والعشيرة

٢ . للقبيلة

٣ . للشعب

وتختلف هذه الثلاثة عن بعضها البعض تبعاً للزمن والظروف .

ب .

معيشة العرب

كان العربي أما حضريا أى ممن عاش في المدن ، أو مدريا يسكن الخيام ، كما هى عادة البدو . يتنقل من مكان الى آخر فى البادية . وظل الحال على هذا الاسلوب فى العصور المختلفة ، حتي انقضاء عصر الامويين فى الشرق . وكان عدد أهل الحضر قليلا

أما قبل الاسلام فكان جل الحضر من القحطانية ، لا سيما فى جنوب جزيرة العرب (اليمن) بينما كان الاسماعيليون من أهل البادية . ولم تكن المدن القليلة ، التي سكنها

الاسماعيليون ، بتلك الضخامة والعظمة ، التي كانت لمدن القحطانيين .

ولم تكن حكومة القحطانيين باليمن بأقل منها من حكومات هذه الايام بأى وجه من الوجوه . واذا لم يكن ذلك هو الواقع ، فكيف أمكنهم ، أن يشيدوا تلك الصروح الهائلة ، التى حفظت لنا كتابات المؤرخين والسياح أوصافها .

ثم جاء الاسلام ، وكان النبي وجل كبار الصحابة من الاسماعيليين . وبعد ظهور هذا الدين شيد المسلمون مدناً حديثة . وبدأ العرب ، وهم جل مسلمى تلكم الايام ، سكنى المدن . وترك كثير من البدو سكنى الخيام ، كما كانوا يفعلون في الصحراء . واتخذ كثير منهم القصور والصروح المشيدة مأوى لهم . وعاش أفراد كل قبيلة مع بعضهم البعض فى المدن حديثة البناء . وفى كثير من البلاد المفتوحة سكنت كل قبيلة مكاناً خاصاً بها . وبتوالى العصور امتزج العرب بالسكان الاصليين على طريق المصاهرة . وفقدوا

عصبيتهم تدريجياً . ورغم هذا بقي كل بدو العرب فى بلادهم على نظامهم الاول في السكني . ويمكننا أن نقول : أنجل سكان جزيرة العرب من غير أهل الحضر حتي اليوم .

وسواء كان العربى مدرياً أو حضرياً ، فقد وجد نفسه في خطر من غزو الامم العديدة ، التى عاشت حوله . وشمم العربي أمر معروف . وذلك أمر ملحوظ بشكل واضح عند البدوى ،وقدأن العرب من جور الحكم الاجنبى .لهذا أرادوا ، أن يعيشوا أحراراً ، كما غرز ذلك فى طبيعتهم ، وكما ولدتهم بطون أمهاتهم .

هنا يمكن أن يسأل سائل : كيف طاب كثيرون من قبائل البدو حماية أمم أخرى مع أنفتهم .فنجيبه أن هذا كان اسمياًظاهرياً ، ولغرض خاص ، ولزمن لا يطول . وقد عاشوا قروناعديدة كل منفصل عن الآخر،وكانوا على خلاف بينهم .

وفي الوقت نفسه كان لأهل الحضر البأس والقوة ، ليدفعوا أعداءهم ، لما كان لهم من الانظمة ، وما أمكنهم أن يعدوه من جيش وأسلحة ماضية . وكانت حكومتهم

تحميهم اذا دعا الحال لذلك . على نقيض ذلك كان البدوى ، فقد وجب عليه أن يدافع عن نفسه .لان الاخطار ، التى أحاطت به ، كانت أكثر بالنسبة الى الحضرى ، لولا أن كانت الصحراء درعه المتين ، تقيه لمعرفة طرقها ومسالكها ، ولقدرته على تحمل تقلبات جوها ومناخها أكثر من الاجنبي . رقد ألجأته معيشته أن يكون عصبياً . بل أنه كان ذا عصبية كبيرة لكل تلك الاسباب التى ذكرناها . وذلك ما نريد اثباته في هذه الرسالة .

ج .

معيشة العرب البدو

لما خلت بلاد العرب من الانهار ، كانت مسألة المياه ذات شأن يذكر فى حياة ساكنيها . فمن الآبار ومنابع المياه الطبيعية ، ومن مياه الامطار ، التى لا تكفى حاجة ولا تطفىء ظمأ ، استقى العربى ، وسقا إبله وفرسه ،وامكنهان يروي من تلك المياه بقعاً صغيرة من الارض فى الصحراء ، يكسوها النبات خضرة وسندساً . فينزل جوارها ايرعى

أنعامه فيها ، حتى لا يبقي فيها ما يقيتها . فيظل يبحث عن مكان آخر لشربه ، ويطلب زرعاً لسائمته . ولما كانت إقامته بأى مكان كان قصيرة المدى ، لم يجهد نفسه لتشييد منزل يأويه ، بل اقام في خيام ساذجة من وبر الجمال . ولا يظل يتنقل من مكان لمكان ، ليجد ما يسد به رمقه ، ويقيم أوده ، ويرعى إبله ، ليدر ألبانها ، ويطعم لحومها . وكثيراً ما قامت الحروب الدامية بسبب تلك المياه والمراعى الخضراء . وبطبيعة الحال فاز فيها من كثر عدد أفراد أسرته أو قبيلته وأنصاره . لهذا سعت كل أسرة وعشيرة أن يعيش أفرادها بعضهم بالقرب من بعض . وجدوا أن يكثروا من عددهم ، رجاء تلبية دعوتهم ، إذا نادوهم ، أو أغار عليهم مغير . وانا لنجد في قصائد البدو وصف حياتهم مشابهاً تمام الشبه ما خطته يد جوال الصحراء في كتب رحلاتهم في هذا العصر . فقد عاشت كل قبيلة وعشيرة جميعاً . واذا ما رحلوا كانوا في قافلة واحدة . ودافعوا عن بعضهم البعض ، اذا ما انتشب

الكفاح ، أو التحم فريقان ، وفخروا بقبائلهم وعشائرهم وأسرهم كل الفخر فى قصائدهم . وعلى هذا التنظيم للقبائل والاسر قامت العصبية عند العرب .

* * *

الفصل الرابع

العصبية فى العصور المختلفة :

قد بينا فى الفصل السابق ، كيف كانت العصبية العربية ، ولأي الاسباب قامت . وفى هذا الفصل سيكون حديثنا على العصور كلها .

ورغم تحريم الاسلام للعصبية ، فانا نجد ان اتحاد العرب ، لم يكن الا لزمن يسير ، وكان قصير الامد لرجوعهم الى عصبيتهم الاولى والى وأشد منها .

الاسلام والعصبية

ان القرآن والسنة النبوية هما أساس الشريعة الاسلامية . فمنها نعلم تماماً ، ما وجب على المسلم فى هذا الشأن .

القرآن والعصبية

في كثير من المواضع في القرآن نجد آيات عديدة ، نتبين منها ، ما جاء بهذا الكتاب المقدس خاصاً بالعصبية وذكرها .

ففي مسألة المواريث نجد شأناً هاماً للاقرباء . وليس من المحتم علينا في هذه الرسالة أن نزج بأنفسنا في التفاصيل ، وبيان نصيب كل . وانما يمكننا أن نقول اجمالا : أن لاقرباء من مات نصيباً معيناً من ميراثه ، الذي تركه .

وإليك بعض الآيات الواردة في هذا الصدد : —

« كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين » (١)

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل . . . » (٢)

على هذا الترتيب يتقدم ذوى القربى على غيرهم من الايتام والفقراء وكل طالب للعون والمساعدة .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩
(٢) سوره البقرة الآية ٢١١

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحديهما على الأخري فقاتلوا التي تبغى حتي تفئ إلى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنين إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١)

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » (٢)

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » (٣)

« وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٤)

---

(١) سورة الحجرات الايه ٩ — ١٠
(٢) « « الصف « ٤
(٣) « الانفال « ٩٦
(٤) « « « ٩٤

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » (١)

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . . . » (٢)

من هذه الآيات التى أوردناها هنا يتبين للانسان ، ان الله أراد ، أن يجعل الصلة بين أفراد الاسرة الواحدة متينة ، وأن يوثق عرى الاتحاد بين عباده المؤمنين . وقد أباح القرآن عصبية الاسر وجماعة المسلمين (كأمة) ، كما انه حرم وجود تلك العصبية بين الاحزاب والقبائل تحريماً قاطعاً .

وذلك هو طريق الداعين للجامعة الاسلامية .

النبي والعصبية

جهد النبي أن يجمع المسلمين ، ويؤلف بين قلوبهم ،

---

(١) « آل عمران » ٩٨

(٢) « الحجرات » ١٣

وأن يزيل عصبية القبائل ، فقد نهى عن دعاء الجاهلية ، اذا ما طرق أحد الناس أمر طارق ، أو دهمه داهم ، فقال عليه السلام : (ليس منا من دعا بدعاء الجاهلية) . أعنى أن كل من استنفر قبيلته ، وضرب على تلك النغمة القديمة . فليس من الاسلام في شيء ، ولن يعد من انصار النبي ولا من اتباعه. أما أعداء النبي فقد جهدوا ، أن تقوى روح تلك العصبية . فقد ذكروا ، أن شاس بن قيس ، وكان شيخا قد عسا ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم مر على بعض الصحابة من الاوس والخزرج ، في مجلس جمعهم يتحدثون . فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام . بعد عداوة في الجاهلية. وأمر شاباً من يهود . أن يجلس معهم . ويذكر يوم بعاث ، وما كان قبله ، وما قالوا فيه من الاشعار . ويوم بعاث اقتتلت فيه الاوس والخزرج . ففعل حتى تكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، وكاد القتال يدور بين الحيين ، لو لا أن بلغ ذلك رسول الله ، فخرج اليهم وقال : يامعشر المسلمين

الله !الله : أبدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم ، واستنقذكم به من الكفر والف به بينكم ! ! ؟

فعرف القوم ، أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم . فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا (١)

وكذلكم كانت سياسة النبي حتى آخر لحظة من حياته وأكد ذلك فى خطبة الوداع بمكة . والا كيف أمكن للعرب ، وهم قوم لم يكن لهم قوة كبرى من قبل ، أن يصيروا شعباً كبيرا قويا متحدا : شعباً أمكنه أن يغزو ملكا كبيرا فى زمن قصير ؟ شعباًا انتصر على أباطرة الروم وأكاسرة الفرس ؟ سبب ذلك أن عصبية القبائل كانت قد ضعفت جداً ، وأصبحت غير محسوسة . لهذا تم للعرب هذا الظفر والنصر .

---

(١) ابن هشام، سيرة سيدنا محمد رسول الله ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ملخصا

ج

كيف بدأت العصبية في الاسلام ؟

من قريش كان النبي وجل قادة المسلمين الأول .. ومع أن الاسلام يحرم وجود العصبية كما رأيت ، فخرت قريش بظهور النبي بينهم ، وأن ذوى السابقة في الاسلام كانوا منهم ولهذا تعالوا بأنفسهم عن الآخرين

ذكروا أن سعيداً بن العاص والى الكوفة كان يسمر مع جلة علماء مدينته ومقاتلة القادسية وكان ممن يضمهم مجلسه كثيرون من كل القبائل الاخرى. فذكر أحدهم جود طلحة ابن عبد الله فمزا سعيد هذا الى كثير ما يملك من الضياع في العراق . وقال فتى منهم لو أن لك مثل الملطاط .فغضب من حضر من غير قريش ، وقالوا : كيف يرجو أن يكون له سوادنا : ؟ فقال سعيد « السواد بستان قريش » فقام الاشتر مغضباً وكان من أهل اليمن ومن كبار أنصار على . وقال: كيف

نزعم أن السواد ملك لك ولقومك . وقد من الله علينا أن غزوناه بحد سيوفنا (١)

ومن ذلك الحين بدأت العصبية بين قريش وعامة القبائل . لاسيما بينهم وبين أهل اليمن وكان من هؤلاء الانصار

د .

العصبية من ظهور الاسلام حتى زوال دولة بني أمية من الشرق

قد بينا ما كان من تحريم الاسلام للعصبية تحريماً قاطعا ، وان النبي كان يسعى جهده للقضاء عليها ولما مات أراد الانصار (أهل المدينة) أن يكون الخليفة واحداً منهم. واذا لم يتسن لهم ذلك ، كان منهم أمير ، ومن المهاجرين أمير. ويتضح السبب في وجود تلك الفكره ، اذا علمنا ، أن أهل المدينة غير القرشيين أصلا ونسبة . فروى أبو بكر الحديث الذى معناه ان الأئمة من قريش (وقد خشي الفرقة بين أهل المدينة ، وأن يذهبوا أيدى سبا وكما أرتأه ابن

---

(١) زيدان التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٥٧ — ٥٨

خلدون فى مقدمته ، أن يكون الخلفا من قريش ، لما كان لهم اذ ذاك من القوةوالمنعة وعزة الجانب [١]

وليس هناك ما ، يستحق الذكر عن العصبية في عهد ابى بكر وعمر.وجاء من بعدهم ذلك الخليفة الهرم عثمان ، الذى اختص اسرته وذوى قرباه بولاية الامصار الكبرى . ولذا انتهت حياته بما انتهت اليه . ووجد كثيرون يطمحون الى الرئاسة.وساعد أهل اليمن بيت النبي،وزعيمه علياومثلوا بذلك دوراً حديداً فى تاريخ جزيرة العرب

وقد أمكن أمير الشام الحازم معاوية، أن يتادى بنفسه خليفة لحسن سياسته سلكها دون غيره الذين طمحوا للسيادة والغلبة

ولم تكن سياسة معاوية الكيسة وحدها ، التى قادته للظفر ، بل لا بد أن نضيف اليها عصبية اسرته القوية وبينما نرى عقيلا أخا على فى حضرة معاوية ويجالسه ، نرى الأفراد الآخرين من بيت النبي فى خلاف وشقاق بينهم —

---

(١) راجع ماقاله الخضرى بك فى تاريخ الامم الاسلامية ص ٤٢٨

وكان ذلك البيت أكبر مناظريه للرياسة — مثال ذلك ما كان من النفرة بين ابن عباس وعلى أقرب قربائه لاسباب مالية

ومع ما انتاب أهل اليمن مع على من الخيبة والفشل ، لانتصار معاوية ، فقد وجدوا انفسهم اصهار الخليفة الجديد لنسب بينهم ، إذ كانوا أخوال ابنه يزيد . ولا يمكننا الجزم اذا قلنا : أن هذا الزواج يرجع الى أسباب سياسية . فربما كان الأمر كذلك ، اذا علمنا ، أن معاوية سعى وراء الخلافة زمنا طويلا . فعل ذلك ، لأنه أراد أن يكثر من انصاره ويقوى من جانب أسرته لمستقبل أيامه ، وهو ذلك الرجل البعيد النظر ، والسياسى النبيه النابه ثم تراه قد اعترف باخوة زياد ابن ابيه المجهول الأصل بعد ذلك كله .

ورغم كل العواصف التى قامت ضد بني أمية ، وعرفها التاريخ الاسلامى ، فانه قد أمكن الأمويون أن يفوزوا وأن يحكموا الناس . وقد كان من الممكن حدوثه جداً ، أن تتغلب أسرة ابن الزبير عقب وفاة يزيد بن معاوية ، وأن تكون فيها الحكومة ، لولا أن ساعد أهل اليمن

مروان في واقعة مرج راهط ضد القيسية بقيادة ابن الضحاك .

واني أعتقد اعتقاداً جازماً ، أن التهافت على السيادة بين القسمين الكبيرين بين الشعب في جزيرة العرب ، كان على أشده ووضوحه ، حتى ان المتأمل في تاريخ بني أمية يمكنه أن يلحظه ، ويراه في كل آن وحين . الا انه حدث في زمن معاوية ، أن كان يعاقب زياد ، من يدعو للعصبية بسل لسانه (١) .

وبعد ذلك كان للعصبية في الشرق والغرب دور محزن في المملكة الاسلامية فحالما يتيسر لامير من أي حزب أن يهيمن على الامور ، فسرعان ما يختص قومه بكل عون ، ويتحيز لاهله ، بيناهو يتتبع أنصار الحزب الآخر : يطاردهم في امارته ، ويصادر أموالهم ، ويفني معالمهم وأعمالهم . أما من بقي منهم تحت سلطانه ، فكان نصيبه الموت الزؤام واعفاء الديار والآثار . ومن يطالع تاريخ امراء اسبانيا من قبل

---

(١) الخضري بك ، تاريخ الامم الاسلامية ص ٤٧٩ .

الامويين يجد مأساة فاجعـة ، تدخل الأسى على النفس والحزن . فقد كانت عصبية القبائل المختلفة في البلاد التى فتحوها أيامئذ من جهة . وعصبيات العرب والبربر من جهة أخرى على أشدها . فلاقوا جزاء ما كان منهم . فقد فقدوا في حملتهم على فرنسا جيشاً عرمرماً ، وقائدهم عبـد الرحمن الغافقى . ولو أنهم تمسكوا بالعروة الوثقى ، واتحـدوا فيما بينهم ، لـكان تاريخ أوروبا غـيره الآن من كل الوجوه . ولـكنهم تمسكوا بعصبياتهم . ورأوا أن يظلوا يمنيين ومضريين وبربر وما الله به أعلم . لهـذا لم يتمكنوا من البقاء فى بلاد نزحوا اليها ، وكانوا فى قوم غرباء عنهم . هكذا كان الحال فى الغرب : أما في الشرق فلم يكن الامر بأقل خطراً وسوء عقبي . فقد أعيد تمثيل تلك الامور فى بلاد خراسان . فبعد أن مات يزيد الاول ، نشب القتال بين اليمنيه والمضريين [1] لانتخاب أمير من احدى الطرفين.

وفى حكم هشام عاد ذلك مرة أخرى في خراسان ،

---

(١) الخضرى بك تاريخ الامم ص ٦٥٢

عند ما اختار خلد القسرى القحطاني أخاه أسداً للحكومة. فعاقب هذا زعيم المضربين ، وأساء معاملته . وعند ما بلغ هشام الخبر ، أمر خالداً، أن يعزل أخاه .

وأيام كانت عصبية الاسرة الاموية متينه قويه ، لم تحدث تلك الامور ضرراً بليغاً . ولما اختلف أفرادها فيما بينهم ، رأينا نهاية أمرهم تقترب وتدنو رويداً رويداً ، حتى أمكن بني العباس ، أن ينتزعوا الحكم منهم لانفسهم ولا مشاحة أن الاخيرين انتهزوا ما فعلته العصبيات للوصول الى مآربهم

هـ

عصبية الاسرة

سنعنى بذكر ثلاث أسر دون غيرها ، ممن طمحوا للرياسة أما الأسر فهى :—

١ — بيت النبى

٢ — آل الزبير

٣ — بني أمية

١ — بيت النبي

لاسباب دينية نظر المسلمون لهذا البيت نظر الوقار والتعظيم. كما ظن آل البيت انهم فوق سائر البشر. وقد كانوا فريقين: بني طالب وبنى العباس : وقد أراد كل فريق ، أن يكون المقدم ذا الرياسة والسيادة على الآخر. كما اعتقد الطالبيون ، انهم ذوو الحق لنيل الخلافة. وكان زعيمهم علياً. وهذا أمكنه، أن يكون خليفة مدة أربع سنين وقد كان رجلا تقياً صالحاً مقداماً فى الحروب، وان أعوزته السياسة والتدبير. لهذا تنحى عنه أخوه وابن عمه وكثير من أفراد أسرته. فقد رأى الناس أخاه عقيلا في مجلس معاوية يغدق عليه الأموال ، ويجلسه الى جانبه. وكان ابن العباس ابن عم على واليه على البصرة. ولامور مالية لم يلبث هذا طويلا فى عمله ، ومن هذين المثلين يتبين لنا، ما كانت عليه عصبية هذا البيت.

٢ — آل الزبير

حاول الزبير أن يكون خليفة، ولكنه استشهد فى

ميدان القتال. وقد تيسر لابنه عبد الله ، أن ينادى بنفسه خليفة. وقد أمكنه ان يتولى الحكومة سنين عديدة ، لما كان له من الانصار فى الحجاز ، لان اخاه مصعباً كان اميراً على العراق من قبله. وقد هدد ملك الامويين بالزوال. وكان اكبر خطر على سيادتهم فى العالم الاسلامى. ولكنه كان شحيحاً شديد البخل تعوزه السياسة وتفرس الناس واستطلاع مكنوناتهم ومعرفة طبائعهم . فقد حكي ان اخاه مصعباً قدم اليه وجوه أهل العراق . وأمل الناس منه العطايا والمنح ، ولكنه مد يده الى عنقه ، ولم يعط شيئاً . فعادوا الى أوطانهم ، وأعانوا بنى أمية . ولكي تعرف عصبية بيت الزبير يجب أن لا يبرح من ذاكرتنا أمر غريب واقع ، وذلك ان كان قائد جيش الأمويين المسير الى عبد الله أخاه عمرا(١)

٣ — بنو أمية

لم يكن ارتقاء بنى أمية منصة الأحكام من قبيل الصدفة

---

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٣٠٦

وأعمال الاتفاقات. ورغم كثرة من رشحوا أنفسهم للرياسة، وطمحوا للسيادة ، وتهافتوا عليها ، فقد غلبت هذه الأسرة ،وسادت مناظريها العديدين . وسنذكر ثلاثا من خلفائها

أما معاوية فكان كيساً فطناً، وعبد الملك حازما مدبراً، وهشام فقد كان يحب النظام فى أعماله وعماله . وقد حكم كل منهم زهاء العشرين عاماً . وقد تيسر لأولهم، أن يقلص من ظل آل هاشم وحكومتهم أيام حكمه . والفضل راجع للسياسة التى اتبعها . وأمكن الثاني أن يقضي القضاء المبرم على آل الزبير . أما الثالث فكان آخر من تربع على كرسى الخلافة سنين عديدة . وقبل أن نبين الوسائل التي أعدوها ، والطرق التى استعملوها ، يجب علينا أن نذكر شيئاً عن عصبية هذه الاسرة :

أصل بنى أمية من عشيرة لم تكن فى بعد صيتها ، وعلو كلمتها ومنزلتها قبل الاسلام بأقل من بني هاشم . ولكنهم كانوا أكثر عدداً من الآخرين (١) وأيام كان

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٧٣

الوئام سائداً بينهم ، يوثق عراهم ، ويلم شعثهم ، ظلوا سادة عصرهم . ثم كان منهم ، ان ساء رأيهم ، فصاروا ينتخبون اثنين لولاية العهد معاً يحكم الواحد منهم بعد الاخر . فقد اختار مروان عبد الملك، ثم من بعده عبد العزيز ، ليكون خلفه فى الخلافة . فأراد عبد الملك أن يختار ولده الوليد ولى عهده بدلا من أخيه عبد العزيز. وقد كادت أشد الاخطار، أن تصيب هذه الاسرة، لولا أن عاجل الأخير الاجل فآب وقد عمل كل خليفة تقريباً هذا العمل. وأخيراً كانت تلك الخطة جديرة بالاعتبار والتأمل فى عواقبها . فقد أعمل كل جهده يتربص الفرص للانتقام . فقد مات عمر بن عبد العزيز مسموماً ، لانه كان لا يميل الى يزيد خليفة من بعده [1] ولقد بعدت ذات البين واشتدت البغضاء بين هشام وخليفته من بعده الوليد الثاني ، حتى لقد سمح الخليفة بسبه فى حضرته [2] فاما تولى الوليد الخلافة ، قتل كثيراً من ذرية هشام وصادر أمواله وعقاره. واشتد فى

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) » » » » »

عقاب كثير من ولاته وقواده وحاشيته.[١] وقد قتل ذلك الوليد خليفتُه من بعده يزيد بن الوليد . وعلق الى عمود على سلم المسجد بدمشق . وقد خلع آخر خليفة أموى وهو مروان ابراهيمَ بن الوليد من العرش ، وقلد نفسه الحكم [٢] ومن هذا البيان القصير يتبين للانسان الى أى حد بلغت العداوة بينهم في آخر أمرهم . وقد ساعدتهم عصبية أسرتهم بادئ بدء مساعدة كبرى . وكانت سبب ظفرهم ولم تكن عصبتهم هـذه وحدها التى ساعدتهـم بل وجدت أمور وأسباب أخرى ، واليك البيان :

لما كان الامويون جباة الأموال فى تلك الدولة الاسلامية العظمى ، فقد أمكنهم أن يكثروا من العطاء لاجتذاب الاحزاب المختلفة اليهم كعضد لهم ولتحقيق أمانيهم . وقد أغدقوا العطاء على الشعراء وعلى أفراد الاسر التى تسابقهم الى السيادة ، وعلى الولاة والانصار . فأعطوهم آلاف الدنانير والدراهم ، والابل والضياع . وقد عم عطاء

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٤١

(٢) » » » » ٣٤٥

معاوية عقيلا اخا علي ، ودفع ديونه . فليس بغريب اذا قال عقيل للخليفة « أنت خير لي من أخي » (١)

وفي خلافة عمر بن الخطاب كان يصرف خمسة آلاف من الدراهم كل سنة للحسن والحسين من بيت المال. فصرف معاوية لهما الف الف ومثل هذا المال دفعه لابن عباس ولآخرين ، لا سيما ان عاشوا في المدينة . وكان عبد الله ابن جعفر يجيء من المدينة الى الشام في أيام معلومة معدودة ليقبض راتبه الكبير . وقد دفع اليه يزيد أربعة آلاف الف من الدراهم عوض الف الف ، ليكتسب عطف المدينة وودهم. وفي الفصل القادم سنفرد الكلام على عطاء الشعراء

ولقد جهد بنو أمية ، ان يجتذبوا الدهاة وولاة عصرهم الى جانبهم . فقد تركت ولاية مصر لعمرو ما عاش . وكان من نصيب زياد والمغيرة ، ذينك الاميرين المحنكين ، العراق وفارس وكانا من أنصار علي . وقد سعى الامويون الى ضخامة عدتهم وا كثار عددهم ، وألفت في عضد أعدائهم وتصغير شأن معارضيهم الذين كبر شحهم ، ولم يقدروا على فهم سياسة الناس

---

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٣

وينبغي أن نذكر أمراً على مساعدة القبائل . معلوم أن ام يزيد الاول بن معاوية كانت كلبية (من أصل يمني) وكذلك كانت زوج عثمان ثالث الخلفاء الراشدين وكان هذا امويا ولقد تمكن معاوية بواسطة هذا النسب وبكثرة عطائه وامواله ان يستميل كثيراً من القبائل اليمنية والمضرية لجانبه (١) ولما كان بنو كلب أقرباء يزيد اخلصوا له وساعدوه وارادوا ان يختاروا ولده الصغير خالداً للخلافة لما يزيد قضي نحبه وأخيراً اتفقوا على تعضيد مروان لتولى الحكومة على حين كانت القيسية أنصار آل الزبير وبعد واقعة مرج راهط بين أنصار المروانية والزبيريين لبث الكلبيون على ولاء مروان وأبنائه كما ظلت القيسية أعداءهم الالد وكانت أنصار الحزبين حيث كان العربي

ومع ان القيسية كانت تبغض عبدالملك ولا تميل اليه فقد كانوا انصار ابنه هشام . لهذا أمر هذا ان تدفع لهم

---

(١) زيدان التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٥٨ .

مرتباتهم من ديوانه وفى مدة حكمه صار المضرية أنصار بنى امية [١] لاسيما بعد ان قتل الوليد بن يزيد وكانت امه قيسيه [٢]

وقد همت المضرية بمساعدة مروان آخر خلفاء بني امية لانه أراد أن يثأر من قتلة الوليد ولقد انتهز الفرص دعاة بنى العباس وأنصارهم وجود تلك العصبية العربية لاغراضهم ولذا لاتعجب اذا كانت اليمنية من أعوان العباسيين [٣] وبذا كانوا ممن ساعد للقضاء على بنى أمية آخراً كما سعوا فى بيت دعائم ملكهم في بدء امرهم

---

(١) زيدان التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٥٩

(٢) ابن الاثير ج ٥ ص ١٥٩

(٣) زيدان التمدن الإسلامى ج ٣ ص ٥٩

الفصل الخامس

١

شعراء الجاهلية والعصبية

طبيعة الشاعر حساسة ، سريعة التأثر ، تهيج لأهون سبب . وكانت قريحة الشاعر العربي تتقد بذكر مفاخر قومه ، وتسيل ببيانها .

ونظر العرب – لاسيما في العصر الجاهلي – الى شرف أسرهم وعشائرهم أو قبائلهم نظر الاجلال والتقديس ، فكان الشاعر البدوي يرى ،وكل من سكن جزيرة العرب قبل الاسلام يرون ، أن قومهم أكرم من أعطى ، وأنبل من فعل ، وأصبرهم على المكاره ، وأشجعهم في الكفاح والقتال ، وذوو التقدمة على الخلق طرا . فعدتهم ، وهي السيف والرمح ، ماضية طويلة النجاد كبيرة الوزن ، لايسهل حملها . وكم أهلكوا بها من أعدائهم عند النزال ! !

وعشيرة الشاعر تحمي الضعفاء ، وتمنع الجار ، وكل من يطلب عونهم ومساعدتهم ضد المغير عليهم . يهبون الجياد الصافنات والابل والنوق .

أما دورهم وبيوتهم فضخمة شامخة الذرى . وقوم الشاعر ليوث عند اللقاء ، لا يصبرون على ضيم من غريب ، يغير عليهم . اذا ما مات منهم فارس في الحرب ، ثأروا له بقتل عدة من أعدائهم . وكم من مرة انتصروا فيها على القبائل الاخرى ، وكم من عشائر قد أهلكوا أو أفنوا ، وكم قتلوا من شيوخهم ومقدميهم ، وأكثروا الاسر والسبي ،

كثير عديدهم ، وان قل ، فانهم ذوو بأس وسخاء . قد ورثوا السؤدد عن أسلافهم ، وسيتتبع صغارهم منهجهم .

وإذا ما جاء الشتاء ، واشتد البرد ، بقيت نيرانهم موقدة ، ليسهل على ابن السبيل ، وعلى من طرقهم ليستضيفهم ، الاهتداء الى مكانهم . فينزلونهم منزلا رحباً ، وسهلا خصباً ، ويحتفون بضيافتهم كأخوة لهم ، ويكرمون مثواهم : يثرعون لهم قصاع الثريد واللحوم ليطعموها .

أما نساؤهم فعفيفات طاهرات الاثر . واذا ما قيس قوم الشاعر بالآخرين ، رجح قومه بالميزان . فاليهم ينظر الناس نظر الوقار والتعظيم . أما غيرهم فعدم بعدهم .

واذا ما أغفلنا الاغراق فى المبالغـة فى هذا الشعر ، وطرحناه جانباً رأينا خير مثـال للبطولة الحقـة والسؤدد الصحيح. وكذلكم وصف الشاعر العربي قومه. بل أنه خير أن نقول : ان هـذه الاوصاف هى مثـال النبل فى مخيلة العرب البدو . وعلى خلاف ذلك رأينا في عصر الامويين ، ان الشاعر مدح من كان غريباً عنـه . أما فى ذلك العصر الجاهلى فـكان شعراء المدح أقل عددهم منهم فى الازمنة التالية .

ب

الشعراء بالنظر الى قبائلهم

أورد لنا جرجى زيدان فى كتابه «تاريخ ادب اللغة»

قائمة بعدد الشعراء قبل الاسلام ، وفى عهد بني امية باعتبار قبائلهم [١] . وهاك هى : —

القبيلة	عدد شعرائها جاهلية	عدد شعرائها فى عصر بنى أمية
قيس	٢٧	٣١
ربيعه	٣٠	١١
تميم	١٢	١٣
مضر		
(عدا قريش وقيس وتميم)	١٦	٦
قريش	١٠	٢٣
اليمن	٢٢	١٦
قضاعه	٤	٨
اياد	٢	٠
يهود	٤	٠
موالى	١	٣١

ولما كنا نجهل اخبار كثير من شعراء تلك العصور ، فانا نشك فى دقة هذا البيان . ورغم هذا يمكننا ، ان نتبين منه مبلغ قوة كل قبيلة قبل الاسلام وبعده بمراجعة عدد شعرائها .

(١) زيدان تاريخ أدب اللغة جـ ٢ ص ٢٤٨

وانا لنرى من هذه القائمة ، التي نقلناها ، ان شعراء اليمن كانوا اكثر عدداً قبل الاسلام ، مما صاروا اليه في عصر الامويين . او مما لا مرية فيه ، ان قوتهم قد اضمحلت ، وسلطانهم قد تضاءل . ولما كان الامويون وخلفاؤهم وقادتهم وقواد ذلك العهد من قريش ، رأي الناس أن عدد شعراء قريش قد زاد عن ضعف ، ما كان عليه قبل الاسلام ، وعلى نقيض ذلك نجد أن شعراء ربيعة قد قل عددهم . ولربيعة هذه الشرف الكبير ، اذا كان منهم قواد الاسماعيليين في حروب استقلالهم عن أهل اليمن (قبل الاسلام)

ج

الشعراء بعد ظهور الاسلام

عقب ظهور الاسلام مباشرة رأي الناس ، من يقصّد القصائد الهجائية ضد محمد النبي عليه السلام وضد مسلمي ذلك الحين . وقد جاءت بعض آيات في الكتاب الحكيم عن الشعر والشعراء ، نذكرها هنا : (والشعراء يتبعهم

الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) لهذا اعتقد كثيرون انه لايجوز للمسلمين، ان يشتغلوا بالشعر . والصحيح غير ذلك . فقد راينا النبي يصغي لسماع الشعراء . وكان ينشد أبياتاً ، نذكر منها قصائد امية ابن ابي الصلت الدينية [١]. ولكي يستميل الشعراء اليه أعطاهم العطايا ، ومنحهم المنح [٢]

وأشهر من هجا محمداً بشعره ثلاثة هم : عبد الله ابن الزبعرى وابو سفيان وعمرو بن العاص. وأمثال هؤلاء من يعنيهم القرآن . وقد اختار النبي والمسلمون ائذاك من بينهم ثلاثة من مشاهير الشعراء ، ليدفعوا عنهم ، شر ما يكيد عداؤهم . وهؤلاء هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة [٣]

وامثال هذا عنى النبي بالشعر .

ولما اشتغل العرب وشعراؤهم بذلك الدين الجديد اعنى

---

(١) زيدان آداب اللغة العربية ج ١ . ص . ١٩٦

(٢) راجع الاغاني ج . ١٢ ص ٦٧

(٣) زيدان آداب اللغة ج ٨ ص ١٩٧

الاسلام ، وأعجبوا بأسلوب القرآن البديع ، وقف الشعر في مكانه زمنا ، وسكن . وبدلاً من قول الشعر وتقصيد القصائد التى الناس الخطب .

ولم يطل ذلك السكون . فقد عاد الناس فى عصر بني أمية ، ينشدون الشعر بكثرة كما كانوا من قبل يفعلون :

د .

كيف بدأ الشعراء بذكر العصبية ؟

شبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بأبنة معاوية . فغضب يزيد لذلك ، وأخذته الانفة البدوية . وأمر كعبا بن جعيل الشاعر ، ان يهجو الانصار . فلم يفعل . ولكنه اشار عليه بشاعر نصراني يسمى الاخطل . فلبي الاخطل الامر ، وهجاهم بشعر جاء منه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصار

فغضب النعمان بن بشير الانصارى ، وانشد معاوية قصيدة ، يدافع بها عن قومه الانصار ، ويذكر ما كان يوم

بدر ، وما كان على قريش من الامر ، اذ انتصروا عليهم.
وجاد فيها يخاطب معاوية

فما أنت والامر الذى لست أهله

ولكن ولى الحق والامر هاشم .

فسعى معاوية في ارضائه وارضاء قومه [١] . ومن تلك اللحظة بدأ الشعراء ، يؤججون نار العصبية مرة اخرى .

وكثيرا ما تفاخر شاعران ، وأنشد كل واحد منهم ، يهجو قوم الآخر . وقد صار شعراء ذلك الزمن بعضهم عدوا لبعض ، لما كان هنالك من الاحزاب. وكان لكل فريق شعراء ، يكدون قرائحهم لنشر مفاخر قومهم ، والحط من شأن الفريق الآخر . ولامر ما دينيا كان او سياسيا لم يجسر بعض الشعراء على هجاء زعيم حزب من الاحزاب فى بعض الاحايين . فبدلا من هجاء أولئك الزعماء أنشدت الاهاجى ضد شعرائهم . فحطوا من شأن قوم الشاعر فى أبياتهم . ولهذا السبب وجب على الشاعر ،

---

(٢) الاغانى ج ٠ ٤ : ص ١٢٢

ان يدافع عن قومه ، وان يجيب بمثل ماقال خصمه فيهم . ولما بدأت العصبية ، تتوقد نارها ، ويستعر سعيرها مرة بعد مرة ظهورها . وانا ليعرونا الخجل من ذكر شيء من اهاجيهم أخرى فيمكن مراجعتها في الدواوين الشعرية ومجاميعه ، اذا أراد انسان ان يطلع على شيء من ذلك .

ولقد نرى الشاعر يأتي على ذكر قبائل وعشائر أخرى ، يقارنها بقبيلته ، يريد أن يبعث الحماس في نفوس قومه ولبيان ذلك نريد ان نورد القصة التالية : ــ

أمر المختار بالعراق ، ان يهدم دار أسماء بن خارجة ، وكان من القيسية ، وكانوا يعدونه من قتلة الحسين بن علي. فبلغ عبدالله بن الزبير الشاعر هذا الخبر ، وكان بالشام ، فأنشد شعرا جاء فيه

اتاني وعرضها الشام بيني وبينها
احاديث والانباء ينمي بعيدها
بان أبا حسان تهدم داره
لكنز سعت قسامها وعتيدها

جزت مضرا عني الجوازي بفعلها

ولا أصبحت الا بشر جدودها

فلو كان من قحطان أسماء شمرت

كتائب من قحطان صعر خدودها[١]

والذنب ذنب الشعراء غير مدفوع ، فقد أعادوا العصبية بين القبائل الى حالتها الاولى بفضل مفاخراتهم . انشد عديُّ بن الرقاع الخليفة الوليد احدى قصائده ، وكان جرير حاضرا . فقال الوليد لجرير : كيف تسمع ؟ قال :ومن هو ياأمير المؤمنين قال : عدي بن الرقاع قال: فان شر الثياب الرقاع . ثم قال جرير : عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية . فغضب الخليفة لذلك ، وانشد جريرا قصيدة ، يذكر فيها وقائع نزار في اليمن ، جاء فيها :

اقصر فان نزارا لن يفاخرها

فرع لئيم واصل غير مغروس[٢]

من تلكم الامثال المذكورة يتبين لنا، ان تاريخ شعراء

---

(١) الاغاني جـ ١٣ ص ٣٧

(٢) الاغاني جـ ٧ ص ٧٣

الجاهلية قد أعاد نفسه مرة اخرى في عصر بني أمية .

وقد راى الناس جريرا، يجلس الى ابن الرفاع، ويقرب من مجلسه، اذا كانوا في حضرة الوليد . فسأل أحد القيسية الشاعر الاول ، وقال : يا اباحزرة ! ؟ اختصصت عدوك بمجالسك !؟ فقال : اني والله ما اجلس اليه، الا لانشده أشعارا، تخزيه وتخزي قومه (١)

ولم يقف الشعراء عند حد هجاء الشاعر ، ولم يرضوا بذلك فحسب، بل هجوا قومه وقبيلته . مثال ذلك ما حكي ثابت قطنه ، وقد هجا حاجب بن ذبيان المازني . فغضب لذلك، ولم يقنع ، ان ينتقم من خصمه وحده ، وان يهجو قبيلته الازد ، بل أراد ، ان ينتقم من الشعب، الذي ينتمي اليه ـ اليمنية ـ ، بقصائدك الهجائية (٢)

وكان تحمس كل قوم لشاعرهم كبيرا . يعنون بأمره ويهتمون بشأنه . بينما هم لا يصغون الى غيره ، ولا يرونه موضع الاعتبار . جاء جرير الى دمشق ، فجعل قومه من

---

(١) الاغاني ج ٧ ص ٧٢
(٢) « ج ١٢ ص ٥١

قريش ومواليهم . يحيونه ، ويسلمون عليه ، ويسألون عن حاله، وكيف كان، وكيف يكون أهله وأحبابه، ولا يطيف بالفرزدق الشاعر الا نفر قليل جدا[1]

هـ . الاسواق

المريد : كثيرا ما كانت تنشد قصائد الفخر في الاسواق الجاهلية ، فيهيج هائج أفراد القبائل . ففي عكاظ والمجنة وغيرهما من الاسواق كانت العرب تجتمع ، يصغون الى الشعراء ، وكلهم شديد التحمس لقبيلته . وقد اعاد التاريخ نفسه مرة اخرى فى عصر الامويين فقد كان بالقرب من البصرة سوق اسمها المربد ، كان لها دور هام ، كما كان للاسواق الداثرة . فكان يشعل الحماس فى قلوب القبائل المختلفة بعضها ضد بعض . وقد انشدت المفاخرات فى «المربد» . ورأينا عصر الجاهلية مرة اخرى مصوراً فى هذا السوق .

(١) الاغانى ج ١٣ ص ٥١ .

و

الخلفاء والشعراء

لم تعرف الصحف السيارة والجرائد فى عصر بنى أمية ، ليمكن (نشر دعوة) سياسة بواسطتها . لهذا اتخذ الخلفاء الشعراء سلماً لأغراضهم ومآربهم . ففى مدة معاوية أمر أن يدفع لأهل اليمن مرتباتهم ، ليستعين بهم على علىّ فى أمره . وقد أمر بعد ذلك ، أن يدفع للقيسية مرتباتهم أيضاً ، لكي يستميلهم اليه ، فيساعدوه . (١)

ومن أولئك القيسية شاعر يدعى مسكين الدارمى ، اتخذه معاوية وسيلة ، ليعرف به رأى المسلمين ، حين أراده أن ينتخب ابنه يزيداً لولاية عهده . فأمر معاوية الشاعر أن ينشد بعض الابيات فى هذا المعني في حضرته . ولما نجح فى أداء ما قام به ، اغدق معاوية عليه منحه ، وأجزل عطيته . وكان بعض الخلفاء شعراء ، ويرغبون في سماع الشعر . فقد كان يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد بن عبد

---

(١) زيدان : آداب اللغة جـ ١ ص ٢٥٣

الملك شعراء ، اشتهروا فى عصرهم . وقد أعطى الاخير يزيداً بن منبه الشاعر على كل بيت يقوله الف درهم . (١)

وقد أعطى بعض الخلفاء للشعراء مائة الف و بعضهم الف الف درهم . ودفع بعضهم لهم المرتبات الشهرية ، وخلع عليهم الخلع . وكان منهم من ولى الاعمال (٢)

وخصص بعض الخلفاء للشعراء أياما للدخول عليهم . وسمى عبد الملك بن مروان الاخطل الشاعر بشاعر امير المؤمنين . وهذا مثل من يدعونه (بالشاعر المتوج بالغار) في البلاط البريطانى في هذه العصور . ولا مشاحة ان كان هذا أكبر شرف لمثل ذلك الشاعر في ذلك العهد . ولم يفعل عبد الملك ذلك عبثاً ، فقد كان الاخطل من أكبر أنصار بنى أمية . (٣) وقد أجيز له الدخول الى حضرة الخليفة ، كلما شاء الشاعر . وقد رأى الناس ذلك الشاعر ، والصليب

---

(١) ابن الاثير ج ٥ ص ١٥٧
(٢) زيدان التمدن ج ٣ ص ١١٠
(٣) » » » ١ » ٣٥٩

مدلى على صدره ، وآثار الخمر على لحيته ، وهو يكلم الخليفة (١)

وقد أعطى عبد الملك جريراً مائة الف وثمانية من الرعاء لمدحة قالها فيه . وأعطاه في كل مرة مدحه فيها أربعة آلاف درهم ، وخلع عليه . وقد أعطى هذا الخليفة نفسه للشاعر اعشي ربيعة عشرة آلاف درهم وعشرة خلع وقطيعاً من الابل وقطعة كبيرة من الارض . (٢)

وقد أردنا بذكر ذلك كله ، أن نبين كرم الخلفاء نحو الشعراء . وقد أوردنا بعض الامثلة ، لنبين مقدار عطائهم

ز

الشعراء في عصر بني أمية

لقد أجزل خلفاء بني امية العطاء للشعراء ، ليشاد بذكرهم ، فيقوى سلطانهم ، وتتوطد دعائم ملكهم . ولما لم يكن هناك من صحيفة أو مجلة لنشر الدعوات السياسية

---

(١) زيدان التمدن ج ١ ص ٢٥٩
(٢) « « ١ « ٢٦٩

في ذلك الزمان ، كما اشرنا الى ذلك من قبل ، اتخذ الخلفاء الشعراء لهذا الغرض . لما كان للشعر من التأثير الكبير على نفوس العرب . وكذلكم فعل انصار الاحزاب الاخرى ، أعني الهاشميون والزبيريون والخوارج . فقد كان لكل حزب شعراء ، يزيد عدد كل فريق أو يقل على حسب قوتهم ونفوذهم في كل زمن .

وكان الشاعر ، الذي يعيش في بلاد تظلها سيادة بني امية ، يخشى عقابهم ، اذا ما مدح هاشمياً . كما تعسر على الشاعر ، الذي عاش في الحجاز مدة حكومة بني الزبير ، أن يمدح امويا . وقد رأينا شعراء عديدين ، مدحوا اكثر من فريق واحد .

ويمكننا تقسيم عصر بني امية الى ثلاثة اقسام : —

١ — القسم الاول . من معاوية (٤١ بعد الهجرة) الى مروان (٦٤ بعد الهجرة)

٢ — القسم الثاني من مروان (٦٤ ب . هـ .) الى يزيد ابن عبد الملك (١٠١ ب . هـ .)

٣ ــ القسم الثالث من يزيد بن عبد الملك (١٠١ ب . ه .)
الى زوال حكومة الامويين من المشرق (١٣٢ ب . ه .)

١ .

القسم الاول

كان جل شعراء هذا القسم فى عهد معاوية ، لهذا يمكننا نسبة هذا القسم اليه . وكان الشعراء قليلى العدد فى الجملة ونصفهم ضد بنى امية ، لأنهم كانوا انصاراً للهاشميين او لأسر اخرى . وكانوا اكثر حزبية من شعراء القسم الثانى اذا انشدوا .



القسم الثانى

كان اكثر من نصف الشعراء السياسيين في هذا العهد انصار بنى امية ، لأن قوة الاحزاب الاخري كانت قد ذهبت تقريباً ، او تقاص ظل سلطانهم . وكان نصيب

الشعراء من بني الزبير او من الفرق الاخري قليـلا ، فلم يغدقوا على المداح عطاياهم . لهذا مدحوا بني امية ، لينالوا ارزاقهم منهم . وانا لنجـد فى دواوينهم الشعرية اهجية ، انشدوها ضـد الاحزاب الاخرى . واكبر شعراء هذا القسم جرير والاخطل والفرزدق . وقد عاش جل شعراء هذا العهد في زمن عبد الملك لهذا يمكننا ، ان نسمى هذا العهد باسم هذا الخليفة .

٣

القسم الثالث

مدح بعض شعراء هذا العهد بنى اميـة ، كما مدحوا بنى هاشم ، وكان بعضهم من اكبر انصار الهاشميين ، وقد انشدوا مدحهم فيهم امام الخلفاء انفسهم ، فقد حكي ، ان هشاماً ذهب لأداء فريضة الحج بمكة ؛ وبينما كان يطوف بالـكعبة ، رأى عليا زين العابدين الطالبي ، فتظاهر بعدم معرفته اياه ، فأنشد الفرزدق الشاعر ، وكان من اكبر انصار

بيت النبي ، مدحته المعروفة في على هذا امام الخليفة ، وسمع الناس بعد هذا سديفا الشاعر ، وكان مولي من موالى بنى هاشم ، وهو يقف فى مكان معلوم قرب مكة ، ينشد قصائده فيها، لهذا اراد سباب ، وكان من موالى بني امية ، ان يدافع عن قومه ومواليه ، وكان الشاعران ينشدان المدح والاهجية فى اقوالهما ؛ لهذا كثر الخصام والشجار بين انصار الطرفين ، حتى تجيء رجال الشرطة ، ويضعوا حداً لها ، (١)

ج . المفاخرة بين شعراء العصر الأموى

نريد أن نبين فى هذا المقال ، ما فعل الشعراء على عهد بنى أمية بقصائد فخرهم

ففى عصور الجاهلية كان الشاعر يفخر بقومه فحسب . ولم

---

١ جاء فى الاغانى ج ١٤ ص ١٦٢ : —

كان سديف مولى خزاعة وادعى ولاء بنى هاشم . وهو شاعر مقل من شعراء الحجاز من مخضرى الدولتين وكان شديد التعصب لبنى هاشم مظهراً لذلك فى ايام بنى امية وكان يخرج الى صحار صفار فى ظاهر مكة ، يقال لها صفا الشرابيو يخرج مولى لبنى امية يقال له سباب فيتسابان ، ويتذكران المثالب والمعائب ويخرج معهما من سفهاء الفريقين ؛ ويتعصب لهذا ولهذا ؛ فلا يبرحون ، حتى يكون الجراح والشجاج ويخرج السلطان اليهم ؛ فيفرقهم ويعاقب الجناة . فلم تزل العصبة بهم حتى شاعت فى العامة والسفلة ؛ وكانوا صنفين يقال لهم السديفة والسبابية طول ايام بنى امية

يكثر الشعراء المداحون كما كان ذلك هو الواقع بعد ذلك وقد اختص الشعراء أنفسهم وقومهم بأحسن الصفات والنعوت . وقد سبق لنا أن بينا ذلك ولما ظهر الاسلام كان الشرف الأكبر لمن ينتسب للنبي وأسرته أو قبيلته قريش . وقد فعل ذلك علي بن محمد بن جعفر في أبياته ، اذ ذكر قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم وكان يفخر بذلك ، ويتيه به عجباً (١)

وقد أشار الفرزدق في مدحته لعلي زين العابدين الى قرابته من النبي (٢)

وفي عصر بني أمية ذكر الشعراء قرابتهم من الخلفاء في قصائدهم ومفاخراتهم . وقد فاخر جرير الاخطل بنسب

---

(١) جاء في المستطرف ج ١ ص ١٨٢ طبعة الحلبي

قال علي بن محمد بن جعفر :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت من كل جامع

(٢) القصيدة معروفة ومطلعها

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

قبيلته . فهو من ذرية مضر أبي الملوك (الخلفاء) وقومه من ذرية أسرتين عظيمتين : أسرة الخليفة وبيت النبي . أما ابن عمه فهو الحاكم والخليفة في دمشق (١)

وقد جاء في شعر العصر الاموي ذكر الكرم والبطولة وكل الصفات المحبوبة عند الجاهلية . ولكنهم بثوا في فخرياتهم ومدحهم المعاني الدينية

ط . فحول شعراء العصر الاموى

نريد أن نتكلم على شعراء ثلاثة : جرير والاخطل والفرزق دون غيرهم من شعراء ذلك العصر الاموى العديدين . وكان ذكر هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم يدور في مجالس الأدب أيامئذ أما أولهم فكان من أنصار الخلفاء وثالثهم من أنصار الطالبين لهذا لا يصعب ، أن نتصور

---

(١) جاء في الاغاني ج ٧ ص ٦٣

قال جرير :

ان الذى حرم المكارم تغلبا ... جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم ... ياآل تغلب من أب كابينا

هذا ابن عمى في دمشق خليفة ... لو شئت ساقكم الى قطينا

ما كان بينهما من نفور واختلاف ذات بينهما . ولسنا نريد أن نبدى حكمنا ، أيهما ترجح كفته الشعرية . بل اننا سنحتفظ بحكمنا لانفسنا ولكننا نريد أن نبين أثر شعرهم فى نفوس العرب

وقد بقى هؤلاء الشعراء فى خلاف وعدم ألفة طول حياتهم لما كان بينهم من التحاسد وقد أنشد كل الاهجية ضد لاخرين . ومن الغريب ، أنه قد تيسر جمع كتاب ضخم يسمى « مناقضات جرير والفرزدق » من تلك الاهجية وأمثالها ويعثر المطالع على هذه الاشعار على كثير من الالفاظ والجمل حشوها الهجر وفحش القول لهذا يعرونا الحياء لقراءتها ونجل القاريء من ذكر سطر واحد منها في هذه الرسالة ، وانا لعلى يقين من أنه قلما توجد مجموعة شعرية أخرى تماثلها فى بابها

كان والد الفرزدق من أنصار على بن أبي طالب وقد قدم بابنه وهو حدث صغير على الامام وقال : هذا ولدى وهو يقول الشعر ، فقال له الامام : علمه القرآن فاتبع

الصبي النصيحة وعمل بها وقد بقى هذا الشاعر وفياً للطالبين ماعاش . وكان الاخطل الشاعر الذى توجه الامويون بالغار لهذا حسده جرير لانه كان يود لو أن له عطايا بنى أمية ومنحهم وقد شرف قدر الاخطل وعلت منزلته بلقب (شاعر أمير المؤمنين) و (شاعر العرب) . أما جرير فهو نسل مضر أبي الملوك (الخلفاء) والنبي نفسه وفخر الفرزدق لان جده كان يحي الموتي[1] يسير الناس خلفه ويطيعون أمره[2]

ولا نري واجباً علينا أن نبحث في قرب هذه المفاخرات والمدح من الحقيقة أو بعدها عنها وانما نريد أن نثبت انها بعثت العصبية بين قبائل العرب المختلفة من مرقدها وأججت نارها بينهم . فلا عجب اذا فقد العرب ملكهم بزوال حكومة

---

(١) جاء فى المستطرف ح ١ ص ١٨٢ طبعة الحلبى

تفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق : أنا ابن محى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال : ياأمير المؤمنين : قال الله تعالى : ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً اه

وقد روى أن جده كان يشترى من أريد وأدهن من أهلهن حتى كان عددهن كبيراً وكان ذلك قبل الاسلام

(٢) قال الفرزدق

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس أوقفوا

الامويين من المشرق فقد تناسى الناس خطب النبي وسياسة أبي بكر وعمر التي ترمى الى جمع المسلمين ولم شعثهم وتوحيد كلمتهم وعمل القوم على نقيضها

وبانقضاء عصر الامويين لم تعد للوجود مملكة اسلامية كبيرة، كالتي كانت لخلفائهم .

(انتهت الرسالة)

رجاء

بذلنا الجهد فى تصحيح هذا الكتيب وقد اطلعنا على اغلاط مطبعية بعد ان تسلمنا هذه الرسالة فنرجو القارىء التصحيح قبل القراءة

صحيفة	سطر	الكلمة الصحيحة
ب	٣	قومنا
ج	١٤	بجد
ط	١١	المفاخرة
٣	٢	عربا
٣	١٠١	برمق
٦	٥	bürgerliche
١٠	١٠	أقسام
١٣	٤	بن
١٤	١٣	القحطانيين
١٤	١٣	(احذف طورا)
١٥		اسمعيل
٢٠	١٢ر١٣	الحبش
٢٧	١١	وتهافت
٣٠	٧	بالناس
٣١	١٢	لأنجد

صحيفة	سطر	الكلمة الصحيحة
٣٣	١٤	بينما
٣٩	٨	والي اشد
٤٢	٣	اخوانا
٤٣	١١	بعد
٤٥	١٣	السواد
٤٦	١٣	احذف القوس
٥١	٧	بنو
٥٤	٣	ثلاثة
٥٥	١٢	خليفته
٥٨	٨	قضى يزيد
٥٩	٥	احذف الفرص
٥٩	٨	احذف بذا
٦٤	٣	ومما
٦٤	٨	اذ
٦٥	٩	اعداؤهم
٦٦	٩	ابن
٦٦	١٢	وهجاهم
٦٦	١٣	تحت
٦٧	٢	وجاء

صحيفة	سطر	الكلمة الصحيحة
٦٨	٣	ولذا
٦٨	٤	احذف اخرى
٦٨	٧	بقبيلته
٦٨	١٠	يعدونه من قتلة
٦٨	١٤	يتمى
٧٠	٥	بمجالسك
٧٠	١٢	بقصائده
٧١	٦	فيهيج
٧٨	١٩	العصبية
٧٩	١١	الاخطل
٧٩	١٦	بفضلنا
٨٢	١٩	وقفوا